

علم النفس النمو ومراحل الحياة



د. إسماعيل علوي

أستاذ علم النفس

شعبة علم النفس

الفصل الثاني

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز- فاس

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس - المغرب

المحاور



مقدمة:

سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المبادئ وقوانين النمو

❖ سؤال الثبات والتغير

- أنواع التغيرات ومظاهرها (الجسمي، المعرفي، الوجداني، الاجتماعي...)

- دورة الحياة ومراحلها

- الفروقات الفردية وعوامل التأثير (داخلية، خارجية)

❖ سؤال السواء والمرض

❑ النمو من المرحلة الجنينية إلى الولادة

التفسير البيولوجي | الجنيني | العصبي

من التواصل مع الجنين إلى تربية الطفل

❑ مراحل النمو المعرفي للطفل والمراهق

المحاور

□ سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المقاربات النظرية

- المقاربة السيكودينامية | التحليل النفسي

- المقاربة السلوكية

- المقاربة الفطرية

- المقاربة التكوينية

- المقاربة السوسيو بنائية

□ الشخوخة المعرفية واضطرابات الشخوخة



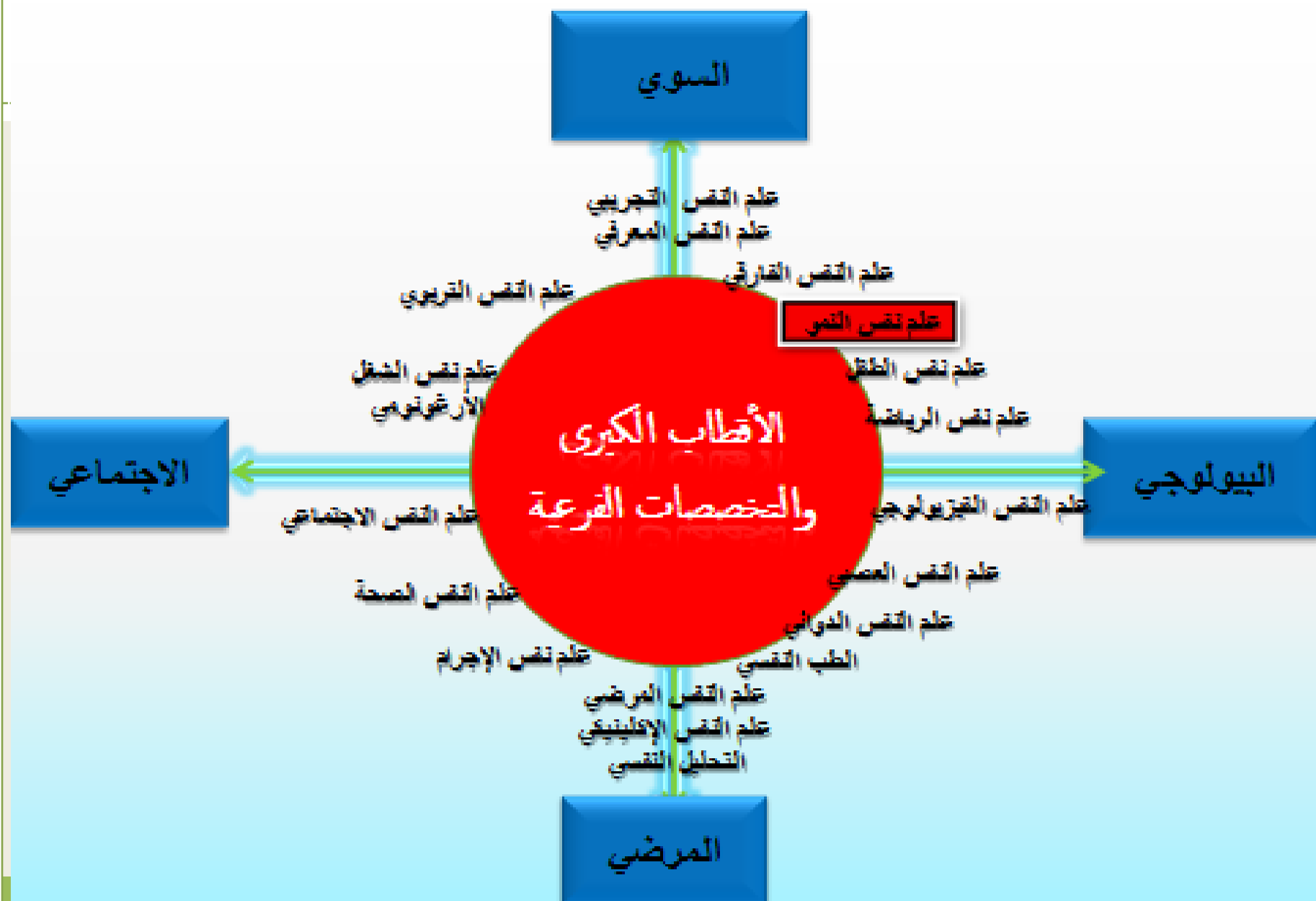
- Bruner.J, S. (1991). Le développement de l'enfant, savoir faire, savoir dire. Paris. PUF.
- Piaget, J et Inherlder, B. (1966). La psychologie de l'enfant. Paris. PUF.
- Tourette, C et Guidetti, M. (2018). Introduction à la psychologie du développement: du bébé à l'adolescent. Dunod.
- Lahalle, H et Mallier, D. (2013). Psychologie du développement; Enfance et adolescence. Dunod.



“من ينظر إلى الأشياء انطلاقاً من **بداية نموها**، ومن أصلها [...] سيحصل على النظرة الأوضح إلى هذه الأشياء”.

أرسطو





مقدمة



النمو الإنساني هو سيرورة دينامية مستمرة ودائمة على امتداد مراحل الحياة.

النمو يشمل مختلف الأبعاد: الجسمية والمعرفية والوجدانية والاجتماعية

النمو وتغيّراته

إن الحديث عن **النمو** يقتضي الإحاطة بمراحل مختلفة: من الرضاعة إلى المراهقة والرشد،
مقتربة باكتساب أهم الوظائف السيكولوجية من مثل: الإدراك، والحركة، والذاكرة،
واللغة، والتمثلات، والتفكير، والتواصل، والاتفاعات والعلاقات الاجتماعية

(Troadec et Martinot, 2003: 23)

مقدمة



عرض القوانين العامة للنمو (ما هو كوني) وإدماج التغيرات الفردية في الوقت نفسه (ما هو نسبي أو ثقافي اجتماعي)"

• (Mellier و Lehalle، 2002)

"دراسة تطور الفرد عبر تتابع الأعمار في الحياة"

(Lehalle & Mellier 2006 ; 6)

عوامل النمو: التعارض بين العوامل الداخلية (أو النضج) أو التركيز على العوامل الخارجية (أو التعلم)

(Troader et Martinot, 2003: 75)

سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المبادئ وقوانين النمو



1 - النمو كمّي وكيفي :

الكم والكيف مظهران لا يمكن فصلهما فالطفل كما ينمو في أعضاء جسمه، ينمو في الوظائف التي تقوم بها هذه الأعضاء.

2- النمو عملية مستمرة تتميز بالتدرج والتنظيم والترابط:

النمو عملية مستمرة، ما يحدث للطفل في أى لحظة له تأثيره الواضح فيما بعد، الخبرات المبكرة للطفل لها تأثيرها الواضح في نموه وتطوره
كل مرحلة من مراحل النمو تتوقف على ما قبلها وتؤثر فيما
النمو منتظم ومستمر في كافة الجوانب جسمية، نفسية، ذهنية، انفعالية

سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المبادئ وقوانين النمو



3 – النمو مراحل متعاقبة:

- | | |
|--------------------------|-------------------|
| 1 – مرحلة ما قبل الميلاد | 2 – مرحلة الطفولة |
| 3 – مرحلة المراهقة | 4 – مرحلة الرشد |
| 5 – مرحلة الشيخوخة | |

سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المبادئ وقوانين النمو



4 - لكل مرحلة من مراحل النمو المختلفة خصائصها ومميزاتها:

كل مرحلة لها سماتها الخاصة (مرحلة الحمل لها خصائصها ويختلف النمو عبرها عن بقية المراحل من حيث السرعة والتكوين والوظيفة)

5 - سرعة النمو في مراحله المختلفة متغيرة:

سرعة النمو ليست ثابتة خلال المراحل المتتابعة إنما تختلف من مرحلة الى اخرى
كما أن الوظائف العقلية لا تنمو بنفس السرعة
كما تختلف سرعة نمو الذكور عن نمو الإناث .

سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المبادئ وقوانين النمو



6- يتأثر النمو بالعوامل الداخلية والخارجية والتفاعل فيما بينهما :

من الظروف الداخلية (نقص إفرازات الغدد - اختلاف طبيعة دم الأم عن دم الجنين).
من الظروف الخارجية (التغذية -النشاط -الراحة -التعليم -الأمن النفسي والوجداني)

7 - يخضع النمو لمبدأ الفروق الفردية :

يختلف الأفراد فيما بينهم من حيث سرعة النمو كما وكيفا بالرغم من أنهم جميعا يجب ان يمروا بمراحل النمو نفسها، معدل النمو يختلف من طفل إلى آخر رغم تساويهم في العمر .
وجود فروق فردية واضحة في النمو بين الجنسين

سيكولوجية النمو ومراحل الحياة: المبادئ وقوانين النمو



8 – يسير النمو من العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء:

الطفل قبل أن يحرك أصابعه يحرك يديه ثم يسبقها تحريك جسمه أولاً الى أن النمو يسير من العام إلى الخاص

9 – يسير النمو من الرأس الى القدمين، ومن المركز إلى الأطراف:

يسير النمو في تطوره العضوي والوظيفي من الرأس إلى القدمين فتنمو الأجزاء العليا من الجسم قبل نمو الأجزاء التي تقع أسفل منها، ومن الداخل إلى الخارج من الدماغ والقلب إلى الأجزاء الخارجية .

سؤال الثبات والتغير

أنواع التغيرات ومظاهرها



يمكن تفسير نمو الطفل إلى أوجه مختلفة:

- النمو الجسدي: تغيرات في الجسم والدماغ، لذلك يشمل النمو الجسدي موضوعات الصحة والنمو وتغيرات في العظام والعضلات التي تؤثر على الحجم والحركة والقوة، وتغيرات في القدرة الحسية مثل السمع والرؤية....
- النمو المعرفي: يشمل تغيرات في اللغة وحل المشكلات والذاكرة والاستدلال...
- النمو الاجتماعي | الانفعالي: تغيرات شخصية الفرد ومشاعره وعلاقته مع الآخرين

سؤال الثبات والتغير

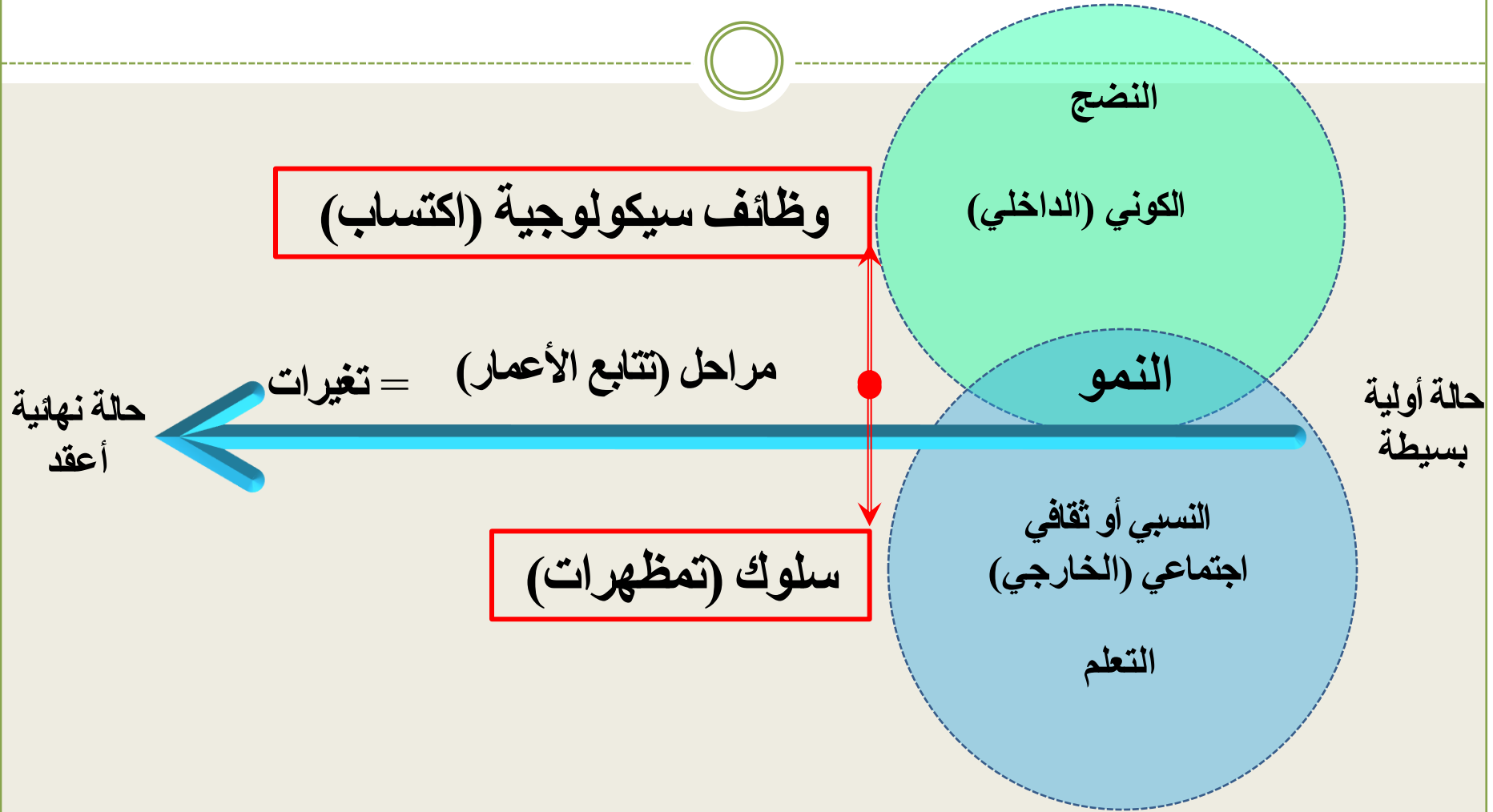
أنواع التغيرات ومظاهرها

تغيرات عديدة تحدث بقوة النمو والنضج Maturation



يشير النضج إلى التغيرات التي تحدث بشكل طبيعي وله مصدر داخلي، كالبناء الجنيني والوراثي المشي والكلام والتعلم المدرسية الكتابة والقراءة، لا يستطيع القيام الطفل بتلك المهارات، إلا في حال نضجه على المستوى العصبي والذهني والجسدي
لا تتأثر إلا نسبياً بسوء التغذية أو المرض (Overton, 2006)

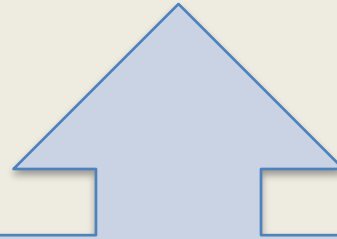
النمو: خطاطة تركيبية



علم نمو الطفل

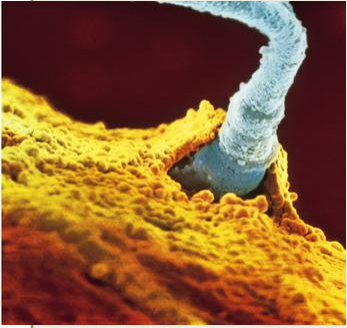
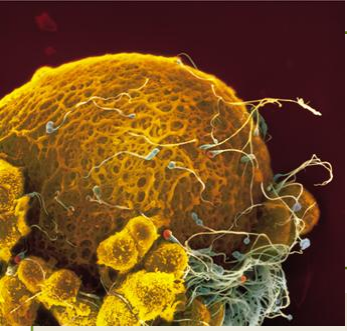


علم نمو الطفل هو مجال مرعي من علم النمو الإنساني
الاهتمام بالتغيرات من الحمل إلى نهاية الحياة
نمو الطفل من الحمل حتى المراهقة من صفر إلى (20) سنة



قام شارلز دورين (Charles Darwin, 1877) بدراسة ابنه في
أول عامين من عمره، بالاعتماد على الملاحظة
كيفية تطور النوع (Rochat, 2001)

مرحلة ما قبل الميلاد



الشهر الأول: الإخصاب 46 كروموسوماً 23، من الأب 23 من الأم.

الشهر الثاني: تكوين المضغة في هذه المرحلة تتضح الصفات الأساسية. طول المضغة يصل إلى 4 سم، وحجم الرأس نصف حجم الجسم. وفي نهاية هذا الشهر تكون جميع أجزاء الجسم قد تكونت (أعضاء التناسل ، العينان ، الأذنان ، الأنف ولكنها لا تعمل).

الشهر الثالث: الجنين Foetus الطول حوالي 9 سم ، الوزن 30 غ.
ويتميز الجنس (ذكراً أم أنثى) ، وتبدأ بعض الأجهزة بالنشاط (الجهاز الهضمي والكبد والكليتان ...



مرحلة ما قبل الميلاد

4- الشهر الرابع: الطول : 12سم ، الوزن 300 غ ، حجم الرأس يساوي ربع حجم الجسم. تتشكل اليدين والقدمان. ازدياد حركة الجنين، ويصبح قريب الشبه جداً بالإنسان.



5- الشهر الخامس: الطول 30 سم ، الوزن 500 غ ، حجم الرأس يصل لثلث حجم الجسم، ويظهر للجنين الشعر والأظافر وتزداد حركته.

6-7- الشهران السادس والسابع: الطول 40 سم ، الوزن 1500 غ ، الجهاز العصبي تام النمو، تظهر الرموش، وتظهر براعم الذوق على اللسان

8-9- الشهران الثامن والتاسع: يكتمل نمو جميع أعضاء الجسم وأجهزته.

وتعمل أجهزة الجسم خاصة القلب والجهاز الهضمي. الطول حوالي

50سم. الوزن حوالي 3كغ، وحجم الرأس ربع حجم الجسم.



التواصل مع الجنين



□ الجنين في مرحلة المشيمة يسمع الأصوات ويتواصل مع أمه ويفرح ويغضب ويستجيب لمختلف المثيرات الخارجية. فهو يستجيب لسماع الموسيقى، ويستطيع التمييز بين صوت أمه وأصوات غريبة، ويزعجه صوت المكنسة الكهربائية... ذلك أنه ابتداء من شهره السادس، يكون الجنين قادرا على الاستجابة للأصوات واللغة (Lamperier 2011).

□ الأدلة العلمية، يتبين لنا أن الجهاز السمعي للجنين جد متطور، وذو حساسية عالية. كما له استعدادا البيوعصبيا يمكنه من تحقيق مختلف أشكال التبادلات، والعلاقات الوجدانية والتواصلية بين الأم والجنين من جهة، وبين الأب والجنين من جهة ثانية.

التواصل مع الجنين



من بين أهم أشكال هذا النوع من التواصل، نذكر الأشكال الآتية:

- **التواصل اللمسي** la communication tactile: ويتم من خلال لمس الأم أو الأب للبطن. وهنا، يستجيب الجنين بحركات لاإرادية بواسطة أطراف جسده. وهذا ما يساهم في تحفيز الخلايا العصبية لدماغ الجنين (, 2007Segond).
- **التواصل الشفهي** la communication orale: هنا يكون الجنين، ابتداء من الشهر السادس من الحمل، قادرا على الاستماع إلى الأصوات والتمييز فيما بينها. وإن كان لا يفهم دلالة الكلمات، إلا أنه يستطيع الإصغاء إلى صوت أمه وأبيه والاحتفاظ به في ذاكرته. وهذا ما يساعد الجنين على التأقلم مع محيطه الصوتي/الفونولوجي في الشهور الأولى بعد الولادة (, 2011Lamperier).

التواصل مع الجنين



□ هذه النتائج العلمية، فتحت المجال واسعا أمام الأبحاث النورولوجية، قصد دراسة دماغ الجنين وآليات اشتغال الخلايا العصبية.

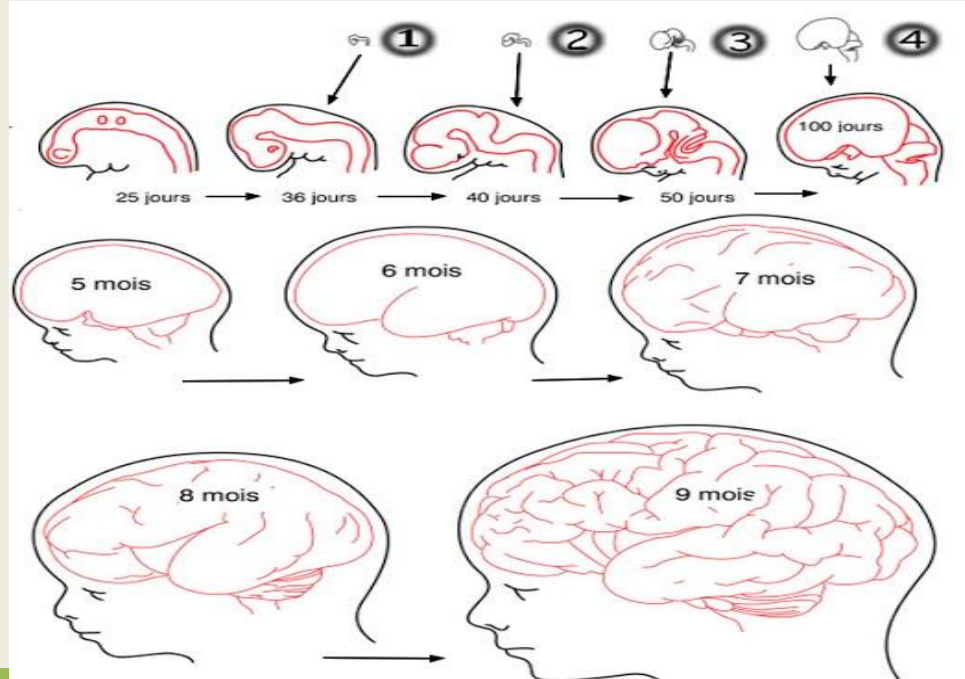
□ أصبح الحديث، في السنين الأخيرة، عن تربية الجنين وعن التعليم ما قبل مرحلة الولادة، وعن عبقرية الجنين (2011, Delassus).

□ في دراسات، أظهرت الأجنة في عمر حمل (26-34) أسبوعا فروقا واضحة في سرعة ضربات القلب استجابة لتقديم أصوات لفظية (Fifer & Moon, 1994).

□ التعلم ما قبل الولادة | الخبرة اللغوية: يظهر حديثوا الولادة تفضيلات سلوكية للأصوات التي سمعوها في مراحل الحمل (DeCasper & Filer, 1980)

دماغ الجنين

يخضع دماغ الجنين للنمو والتغير على المستوى الكمي والكيفي. وتشمل هذه التغيرات، البنية العصبية الإجمالية للدماغ، وبعض المناطق العصبية الخاصة، وكذلك الاقترانات الخاصة بالخلايا العصبية التي تنشط أثناء التفاعل مع المحفزات الخارجية.



دماغ الجنين



- وهذا ما يجعل دماغ الطفل يزداد في حجمه ووزنه، بسرعة كبيرة. إذ يصل وزن دماغه عند الميلاد، حوالي (400) غرام، ويضاف إلى هذا الوزن، في حدود السنة الثالثة، كيلو غرام و(100) غرام، في حين أن مرحلة الرشد تشهد زيادة تصل إلى حوالي (350) غرام.



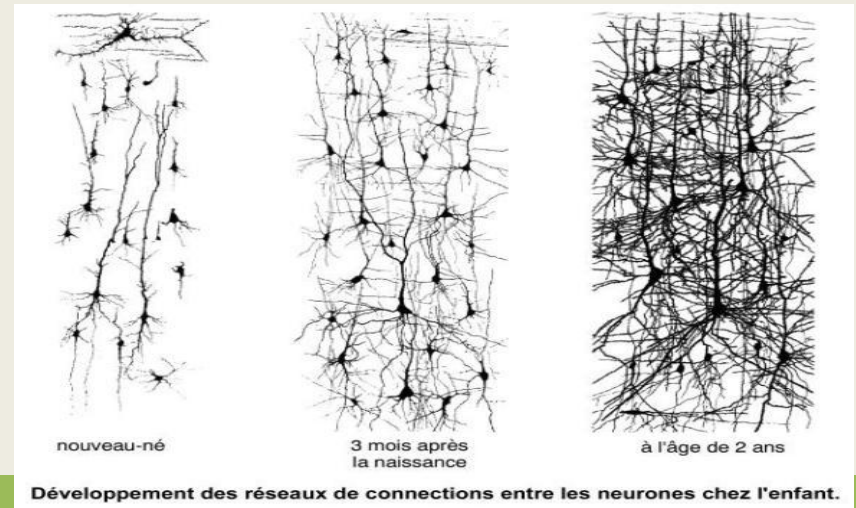
دماغ الجنين

□ دور آليات اكتساب اللغة في تحقيق مبدأ التغيرات العصبية في النصف الكروي

الأيسر Hémisphère gauche.

□ الدماغ في هذه المرحلة، يعرف نشاطا مكثفا على مستوى الاقترانات العصبية، حيث

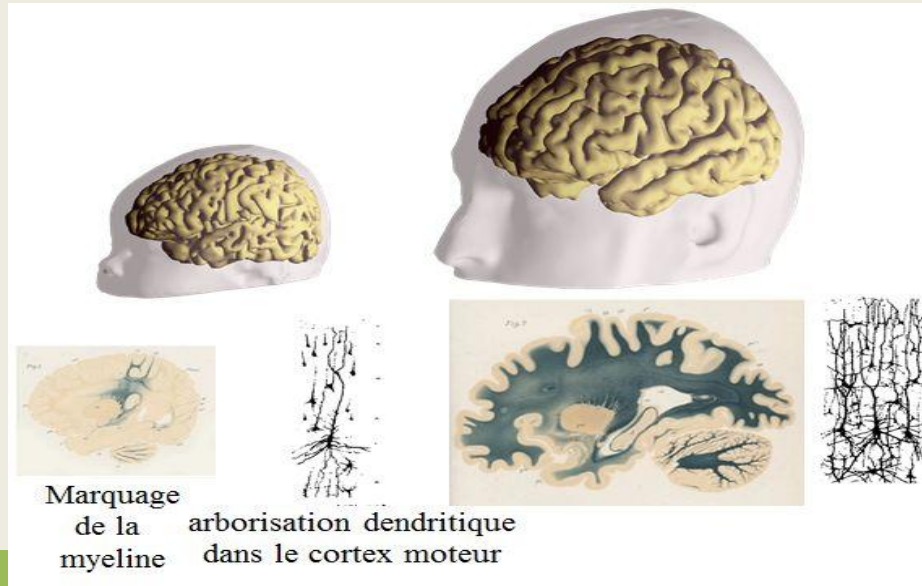
تتمكن كل خلية من إنتاج عشرات الآلاف من المشابك العصبية (Bouchard, 2008).



دماغ الجنين



- وهذا ما يفسر ارتفاع نسبة المادة البيضاء substance blanche والتي تشكل النسيج العصبي المكون من مجموع المحاور axones. أما اللون الأبيض، فهو ناتج عن تجميع مادة المايلين myéline على محيط هذه المحاور، وهي التي تساهم في تنشيط السيالة العصبية وتأمين سرعة أدائها (Kolb et Whishaw , 2008).



مراحل تتطور اللغة عند الرضيع



□ يقوم الطفل، بعد الولادة، بحركات وسلوكات ابتهاجية، يتواصل من خلالها مع الأشخاص المحيطين به، ويستعمل هذه الإشارات لإشباع رغباته من أكل وشرب ونظافة.

□ هذه الاستجابات تعبر عن حاجياته الضرورية وحالاته الوجدانية، فهو يستجيب لحضور الآخرين أو لرؤية الصورة أو إسماع الأصوات.

□ **خلال الشهور الثلاثة الأولى:** القيام بسلوكات من قبيل: يحدق ويضحك ويستجيب بواسطة الأصوات ثم يلتزم بالهدوء. وهذه العمليات تكون مرفقة بحركات واستجابات تلقائية.

□ وبعد هذه المرحلة، تغدو حركات الطفل أكثر تميزاً، وقد تكون إيجابية أو سلبية؛ بمعنى أنه يعبر إما بالقبول أو الرفض، حسب المواقف والوضعية التي يتواجد فيها. ويعبر عن ذلك بواسطة تعبيرات الوجه والصوت وتحريك الرجلين واليدين...

مراحل تتطور اللغة عند الرضيع

□ عندما يبلغ الطفل **شهره التاسع**: يظهر من خلال مجموعة من السلوكيات وردود الأفعال، فهو يبدي تحفظه ورفضه في التواصل مع الغرباء عبر إشارات الرفض أو البكاء. وعندما يرغب في التواصل مع شخص ما، يقوم بحركات ابتهاجية عن طريق الابتسامة ورفع اليدين وحركات الرجلين.

□ عندما يصل الطفل **شهره العاشر**، يتمكن من التعرف على اسمه، وكذلك أسماء الآخرين بشكل جيد. كما تصبح إشاراته وحركاته تتسم بالدقة والوضوح من مثل النداء والقبول والدعوة إلى الاستجابة للفعل... ويستطيع تكرار الكلمات المرفقة بالحركات مثلاً: إشارة "إلى اللقاء" أو تحريك الرأس للتعبير عن الرفض (Haydée Marcos, 1998).

□ في البداية، يستعمل الطفل الكلمات السهلة على مستوى النطق والمرفقة بالحركات، ثم يتمكن من استعمال الكلمات- الجمل بشكل سليم على مستوى نطق الأصوات.

مراحل تتطور اللغة عند الرضيع



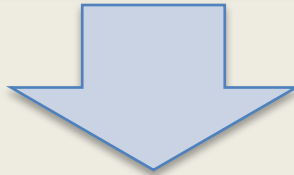
- إذا انتقلنا من **المقاربة الوصفية إلى المقاربة التصنيفية**، يمكن تحديد أهم مكونات التواصل بالإشارات في المرحلة ما قبل اللسانية période prélinguistique في العناصر الآتية:
- **حركات النداء:** وتشمل حركات لإثارة الانتباه، وذلك من أجل الاستمرارية في التواصل مع الآخرين.
- **حركات القبول:** وتتضمن حركات وسلوكات تعبيرية وابتهاجية بواسطة الابتسامة أو اللعب بالأصوات أو النظرات الإيجابية.
- **حركات الرفض:** وبواسطة يعبر الطفل عن رفضه الاستجابة للتواصل أو الاستمرارية فيه.
- **حركات دالة:** وتشمل سلوكات تعبر عن طلب القيام بالفعل أو الاستجابة للمخاطب أو التعاون معه، أو الإشارة إلى شيء ما.

مراحل تطور اللغة عند الرضيع

مراحل تطور اللغة عند الطفل، تتميز بتماسك أطوارها وتكاملها.



كل مرحلة هي ضرورية في بناء المرحلة الموالية وإتمام حلقاتها



الاستعداد البيوعصبي للجنين ونمو جهازه العصبي، تمكنه من الاستجابة
التلقائية والتأقلم مع المحيط الخارجي

وهذا ما يساهم في تكثيف المحفزات الخارجية وتنشيطها، من أجل نمو المشابك العصبية في دماغ

الرضع والطفل، بالإضافة من اجلات جديدة من الاقتنارات العصبية

مراحل تتطور اللغة عند الرضيع



□ حينما يتمكن الطفل من النطق بالكلمات الأولى، فهذا يعني أن هذه المرحلة سبقها مراحل مهمة، تبدأ بقدرة الجنين على الإدراك الصوتي، وتنتقل إلى مرحلة البكاء والصراخ واللعب بالأصوات في الشهور الأولى بعد الولادة. وبعد هذا التدريب الصوتي، يدخل الطفل البالغ (6) أشهر إلى تجربة المناغاة Babillage.

□ بعد ذلك، (12) شهرا: تنظم هذه الأصوات وتتحول إلى أشكال تعبيرية؛ أي متوالية من الأصوات الدالة مثل: ...papa, maman (Colletta 2004),



المقاربات النظرية:

المقاربة السيكوندينامية ١ التحليل النفسي



- ويمكن اختزال أهم المقاربات في سيكولوجية النمو، المهمة في ثلاثة براديغمات paradigmes. يتحدد الأول، في **البراديغم الوجداني** مع التحليل النفسي الذي استند إلى فرضية النمو الجنسي للطفل
- ويتمثل الثاني، في **البراديغم السلوكي** مع المدرسة السلوكية، التي فسرت أفعال الطفل وتطور سلوكه، بالاعتماد على مبادئ من قبيل: التعلم والاكتساب.
- **البراديغم المعرفي** مع علم النفس المعرفي، الذي اعتمد على مقارنة نمائية تكوينية في تتبع تطور الأنشطة الذهنية المعرفية للطفل.

المقاربات النظرية:

المقاربة السيكوندينامية | التحليل النفسي

- نظرية التحليل النفسي نظرية الصراع بين الدوافع الغريزية وحاجات المجتمع
- مراحل النمو الجنسي عند الطفل خاضعة لثنائية: اللذة | الألم

1- المرحلة الفمية: (18 اشهر) المنطقة الشبقة في الفم | اللذة في الرضاعة ومص الأصبع.

2- المرحلة الشرجية: (من 18 شهر إلى 3 سنوات) الشرح منطقة اللذة والتخفيف من الألم والتوتر الناتج عن الفضلات في الأمعاء (تدريب الطفل على التحكم في حركات الإخراج، تعلم النظافة): احتباس | مراقبة | استقلالية

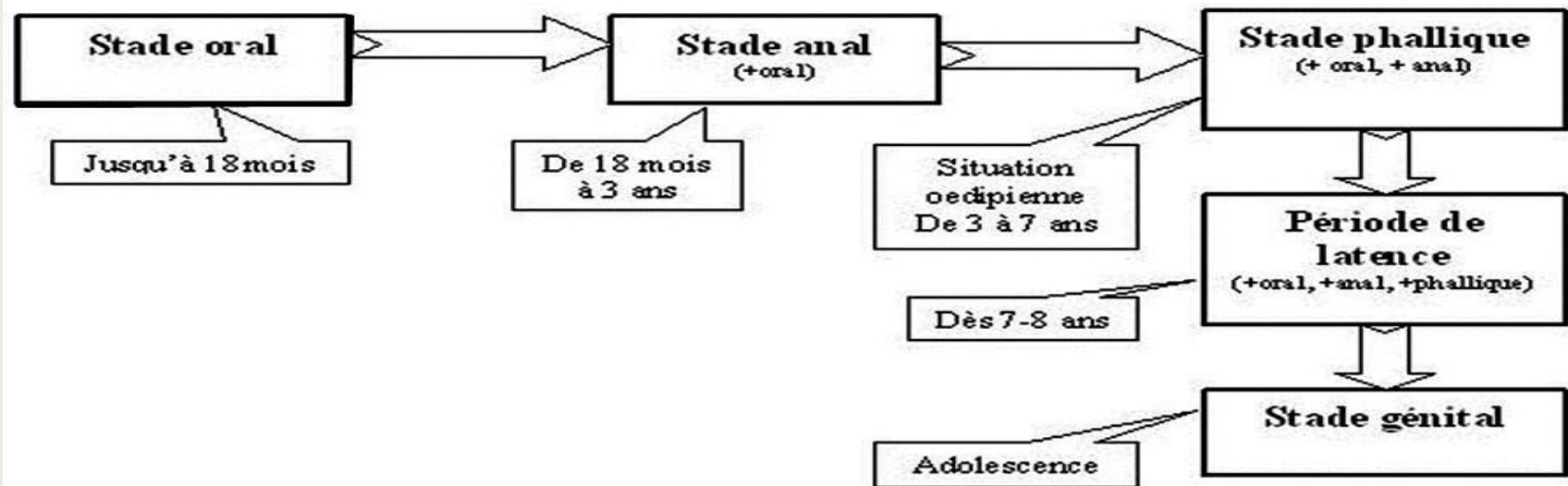
3- المرحلة القضيبية: (3-7 سنوات) اكتشاف اللذة عن طريق القضيب | عقدة أوديب | قلق الخصاء

4- مرحلة الكمون: (من 7 سنوات إلى البلوغ) تتدفق الطاقة الجنسية والعدوانية، تتمظهر في الأداء المدرسي في الرياضة في اللعب

المقاربات النظرية:

المقاربة السيكدينامية | التحليل النفسي

5- المرحلة التناسلية (المراهقة): الإفراط في الدوافع الجنسية | مصدر اللذة في العلاقات الجنسية.



المقاربة السيكوندينامية \ التحليل النفسي

إريكسون: النمو النفسي الاجتماعي

- النظرية النفسية الاجتماعية: البحث عن الهوية \ علاقة الفرد مع الآخرين \ دورة الثقافة عبر دورة الحياة:
 - الثقة في مقابل عدم الثقة (من 0 إلى 12 شهر) \ الأم
 - الاستقلالية في مقابل الخجل والشك (2-3) \ الأب والأم
 - المبادرة في مقابل الشعور بالذنب (3-6) \ أعضاء الأسرة
 - الهوية في مقابل غموض الدور (12-18) \ الجيران والمدرسة
 - الألفة في مقابل العزلة (20) \ الصداقة والعلاقات الجنسية
 - الإنتاجية في مقابل الركود (20-50) \ المشاركة في تربية الأطفال \ المسؤولية

المقاربات النظرية:

المقاربة السيكوندينامية ١ التحليل النفسي



• ميلاني كلاين (1882-1960): تتلخص نظرية ميلاني كلاين في أنه من الضروري الاهتمام بحياة الطفل/الرضيع حيث تبدأ لديه التجربة الاستهيامية التي تبقى تأثيراتها حاضرة بقوة على امتداد حياته ككل.

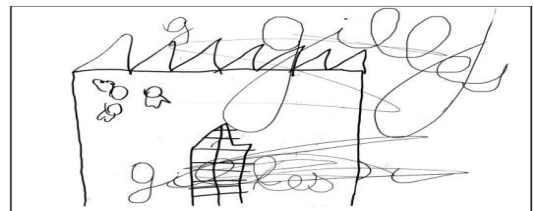
• تتحدث كلاين عن القلق الأصلي عند الطفل الذي يبدأ منذ الولادة، ثم عن القلق الاكتئابي الذي له صلة بالخوف من فقدان الموضوع الذي يحبه الطفل. فقدان الموضوع، قد يسبب للطفل إحساسات بالاغتراب والحزن والإحساس بالذنب... وهذه الإحساسات تبدأ منذ المرحلة الفمية



المقاربات النظرية:

المقاربة السيكوندينامية ١ التحليل النفسي

- وينيكوت Winnicott (1896-1971): انتبه إلى العلاقة الوجدانية بين الأم وطفلها خلال فترة الحمل، وتحدث عن ثلاث مراحل: مرحلة التبعية المطلقة ومرحلة التبعية النسبية وأخيرا مرحلة الاستقلالية.
- يعتمد وينيكوت على تقنيات الرسومات، كطريقة لتكثيف العلاقة التفاعلية بين الأطفال، ومنحها الدينامية اللازمة في التشخيص الإكلينيكي، خصوصا الأطفال الذين تعرضوا للاستغلال الجنسي أو سوء المعاملة



المقاربات النظرية:

المقاربة السلوكية



- جميع أقطاب الاتجاه السلوكي (Pavlov ، Watson ، Skinner) يتفقون حول أهمية التعلم، ودوره في اكتساب مهارات حسية-حركية ولفظية، وهو تعلم تحكمه مثيرات خارجية وعوامل البيئة، ولا مكان للأنشطة الذهنية أو الوعي أو إبداع الذات في هذه التعلمات.
- وتعد اللغة مجموعة من السلوكات الناتجة عن العادات اللفظية. فالمثيرات الخارجية والتدريب والخبرة هي بمثابة عوامل تؤثر على السلوك اللغوي. والمحيط الاجتماعي، هو الذي يعلم الطفل الكلام ويجعله ينتقل من مرحلة التعبير بالإشارات إلى مرحلة التعبير الشفوي.
- تشكل العلاقة التي تربط الأم بالطفل، نموذجا لعمليات الاكتساب اللغوي، والقائمة في البداية على التدريب الصوتي والتشابه بين التعبيرات الصوتية للأم وأصوات الطفل، ثم بعد ذلك يستطيع لوحده، إنجاز النشاط اللفظي , (Oléron1976).

المقاربات النظرية:

المقاربة الفطرية



يرى تشومسكي (Chomsky, 1957-1965) المؤسس الفعلي للسانيات التوليدية، أن اللغة هي نشاط ذهني، ويولد الطفل وهو مزود بمعرفة تامة عن النحو الكلي، وبنظام من البنيات الملائمة التي تساعد على اكتساب اللغة واستيعاب المفاهيم والقواعد المعقدة والبسيطة في الآن نفسه. وعلى الرغم من محدودية معرفة الطفل للمفردات والجمل، إلا أن له قدرة خلاقة وإبداعية على إنتاج تراكيب وجمل لم يسمعها من قبل.

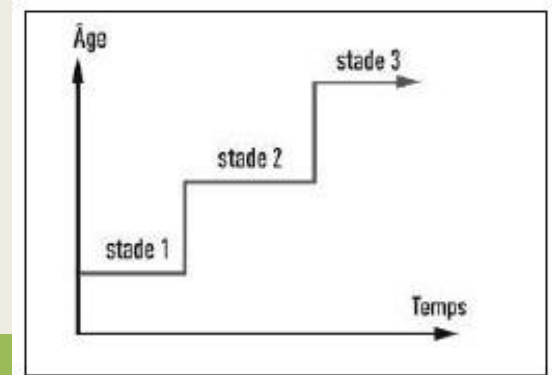
يتفق Fodor (1983) مع تشومسكي في اعتبار اللغة نشاطا ذهنيا، والإنسان مزود بجهاز مبرمج من الناحية التكوينية وقادر على القيام بأنشطة بسيطة ومعقدة في تحويل الجملة ومعالجة اللغة.

يقترح علينا فودور نظاما قالي Modulaire للاشتغال المعرفي، يشتمل على قوالب متخصصة وفطرية ووراثية. كما استنتج هذا النموذج، أن عملية فهم اللغة وإنتاجها تتحقق بسرعة كبيرة وأوتوماتيكية وغير واعية.

المقاربات النظرية:

المقاربة التكوينية

- اعتمد بياجي Piaget على مقارنة بنائية لاكتساب المعارف من خلال تتبع مراحلها وأطوارها وسيرورة تكوينها عند الطفل. ذلك أن عملية بناء المعارف تتم عبر نموها وانتقالها من مستوياتها الدنيا إلى مستوياتها العليا.
- ويقوم الطفل بدور نشيط في تفاعله مع المحيط، عن طريق ميكانيزمات عامة داخلية من مثل فعل التوازن والضبط الذاتي... وإذا كان الطفل يشارك بفعالية في بناء معارفه الخاصة، فإن للنمو دورا مهما في ضبط حدود التغيرات التي تقع على هذه المعارف، بما فيها المعارف اللغوية والتي اعتبرها بياجي جزءا تابعا للمعارف العامة التي يمتلكها الطفل (Piaget, 1923-1945).



المقاربات النظرية:

المقاربة التكوينية



- السيكولوجيا التكوينية منحت الأولوية للنمو المعرفي على حساب النمو اللغوي، الذي يعرف انطلاقته الأولى مع نهاية المرحلة الحسية الحركية، خلال هذه المرحلة لا يستطيع الرضيع التمييز بينه وبين العالم الخارجي، أو التعبير عن أفكاره أو تجاربه، ويكتفي ببناء أشكال منظمة من الاستجابات الحسية - الحركية ونقل شيمات أوخطاطات الحركة وتحويلها من وضعية إلى أخرى؛ أي تكرارها وتعميمها على وضعيات جديدة.
- مع نهاية هذه المرحلة ودخول الطفل إلى المرحلة ما قبل- إجرائية، يبدأ بالتوظيف الذاتي للصور الذهنية توظيفا رمزيا، بالانطلاق من ذاته باعتباره محورا مركزيا للتفاعل مع الأشخاص وإدراكه للموضوعات والأشياء وحل المشكلات المطروحة عليه (Piaget, 1945).

المقاربات النظرية:

المقاربة التكوينية



- يشير يياجي أن الطفل يتمكن من بناء الصورة الرمزية انطلاقا من نشاطه الحركي. ويعد كل من التقليد واللعب الرمزي من بين الأنشطة المعرفية التي تساعد على التحكم في عملياته الإدراكية. "فحينما يحاكي الطفل الموضوع أو الحدث أو الحركة التي أنجزت أمامه، فهو يكون بصدد إنشاء إشارات تعبر عن فهمه لهذه الموضوعات والوضعيات التي تأخذ صورة ما، مثلا يقوم بتمثيل الوسادة بقطعة من القماش، أو قد يفتح فمه للإشارة إلى افتتاح علبة الكبريت" (1981, Cohen: 160).

- عموما، يمكن الاستنتاج أن يياجي كان يروم دراسة تطور البنيات المعرفية ونمو الذكاء عند الطفل، وهذا ما جعله يبالغ في تحديده لمراحل كونية كبرى، وبالتالي يغفل الكفاءات المبكرة التي قد يتوفر عليها الطفل، وهذا ما توصلت إليها مجموعة من الأبحاث والدراسات السيكلوسانية ابتداء من سنوات السبعينيات من القرن الماضي (Slobin, 1996 , Clark 1976؛ Tautelle, 1984).

المقاربات النظرية:

المقاربة السوسيو ثقافي

- نظرية فيكوتسكي ذات التوجه السوسيو ثقافي، منحت للعامل الاجتماعي دورا أساسيا. ذلك أن الأنشطة السيكلوجية، عبارة عن عملية تخزين لمختلف أشكال العلاقات الاجتماعية والثقافية السائدة في أنواع الذاكرات، وتمثل العلاقة بين الطفل والراشد، أهم مظاهر هذه العلاقة، وهي علاقات تفاعلية تتسم بالغنى والدينامية. وهنا يكتسب الطفل الرموز والعلامات وكل الأنظمة السيميائية الضروري التي تتواجد في بيئته اللغوية , (1934/1985Vygotsky).
- تشكل هذه العلاقة (طفل / راشد)، الإطار الملائم لعملية التعلم عند الطفل. فالراشد يساعد الطفل في حل المشكلات من جهة، ومن جهة ثانية، يظهر الطفل استعدادا لتوظيف كفاءاته المعرفية وقدراته الذاتية (Rivière, 1990). ويلخص فيكوتسكي هذه العلاقة التفاعلية، في مفهوم المنطقة المجاورة للنمو Zone proximale de développement التي تمثل الفارق القائم بين ما يقدر المتعلم على فعله وإنجازه بمفرده، وما يستطيع فعله وتحقيقه بمساعدة الآخرين (Rivière 1990).

المقاربات النظرية:

المقاربة السوسيو ثقافي

• قام برينر Bruner (1987) بتطوير هذه النظرية، من خلال توظيف مفهوم الوساطة. ومن أجل تفسير كل أشكال العلاقات التفاعلية بين الطفل والراشد، عمل برينر على إبراز أهمية مساعدة الطفل على حل المشكلات وتقديم مختلف التوجيهات له من أجل الحصول على الفاعلية المطلوبة، وعلى تكثيف أشكال المراقبة أثناء إنجاز المهام. وأخيراً، ضرورة تفعيل أدوات التواصل وتنويعها، من أجل الحصول على أفضل تفاعل ممكن بين الطفل والراشد (1987, Bruner).

• كانت المدرسة تمثل أهم الحلقات الأساسية في سيرورة الاكتساب اللغوي عند الطفل وانتقاله من مرحلة التعبير الشفهي إلى مرحلة التعبير الكتابي (تعلم مهارات القراءة وقواعد الكتابة)، فإن ثمة أسئلة كثيرة مطروحة وتحتاج إلى إجابات من قبيل: هل يتوفر الطفل على معارف قبل مدرسة؟ هل يلج الطفل إلى المدرسة وهو لا يعرف شيئاً عن المعلومات والمعارف والمهارات التي يكتسبها داخل الفصل الدراسي؟ وإذا كان يستعمل اللغة من أجل التواصل والتعبير عن أفكاره، فهل يتمكن من توظيف هذه الكفاءة اللسانية في إدراك القضايا المعقدة والمعلومات المدرسية المنظمة؟

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



- السيكولوجية بشكل عام هي الدراسة العلمية للسلوك والوجدان والسيرورات المعرفية للإنسان في جميع مراحل نموه (الطفولة الأولى والثانية، الرشد، الشيخوخة).
- سيكولوجيا الشيخوخة المعرفية تحاول الإجابة على الأسئلة الآتية:
 - كيف يمكن تقويم قدراتنا الذهنية مع التقدم في السن؟
 - متى يبدأ الراشد بفقدان قدراته الذهنية وكفاءاته المعرفية؟
 - ما سرعة فقدان هذه القدرات؟ ولماذا هناك تفاوت بين الأشخاص؟
- الشيخوخة المعرفية Vieillissement cognitif: التراجع أو الانحدار أو الضعف في القدرات الذهنية الأولية أو العليا والكفاءات المعرفية مثل، التركيز والذاكرة وعمليات التخزين وحل المشكلات والسرعة في معالجة المعلومات... في أشكالها العادية أو المرضية

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



- ما بين 20 و 60 سنة: فقدان نسبة 40% من القدرات المعرفية... بعد مرور 20 سنة إضافية، يتم فقدان 20% من هذه القدرات في حالة الشيخوخة العادية.
- تسعى الأفراد والجماعات دائماً إلى تمديد السنوات الافتراضية للحياة، بالنظر إلى التأثير الذي تخلفه الشيخوخة المعرفية على المستوى الفردي والجماعي
- ضرورة الاهتمام العلمي بالشيخوخة المعرفية (التفسير والتشخيص، التقويم، التكفل...) والتفكير في الاستراتيجيات الوقائية
- على امتداد سنوات يتم العمل على توظيف المخزون المعرفي في أنشطتنا اليومية وتجاربنا الحياتية، وهنا يمكن الحديث عن الشيخوخة العصبية Vieillesse cérébrale
- الدراسات التي تقوم على مبدأ Post mortem (ما بعد الوفاة): بينت أنه قبل 50 سنة تبدأ في ظهور نوعين من الإصابات ذات صلة بالشيخوخة، وتكون على مرحلتين:

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



□ مرحلة التعويض phase de compensation: يعمل الدماغ على تأمين النشاط العصبي، من خلال التحكم في العلاقة القائمة بين النشاط البنيوي العصبي والصيانة الوظيفية للدماغ (هذا ما يفضي إلى إنهاك المخزون المعرفي)

□ مرحلة الأعراض phase symptomatique: مرحلة إصابة الخلايا العصبية وتراجع فعالية الاقترانات وتراجع نشاط الناقلات العصبية (تغيرات بنيوية ووظيفية في الدماغ).

□ في السنين الأخيرة، تم تخصيص الأبحاث: باعتماد اختبارات الذاكرة في علاقتها بالتصوير الدماغية، من أجل البحث عن العلامات البيولوجية les marqueurs biologiques: الهدف هو تحديد احتمالات المرض قبل 5 سنوات أي قبل ظهور الخرف Démence

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



□ هناك توجّهان في البحث العلمي:

1- عوامل ذات الصلة باحتمالات إصابة الأوعية les facteurs de risque vasculaire: ارتفاع الضغط الدموي، السكر، الكولسترول...

عوامل ذات صلة بنمط الحياة style de vie: التغذية، النوم، الرياضة، العوامل المسببة للضغط.

□ من الضروري افتراض جميع الأسباب في إطار اختبارات متعددة الأبعاد، حتى تأتي الحلول على نفس طرق البحث والتشخيص:

- المحفزات المعرفية

- الأنشطة الرياضية

- الأنظمة الغذائية

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



- هذه الاستراتيجيات الوقائية والعلاجية جرى تطويرها في السنوات الأخيرة وأثبتت عن فعاليتها في إطار ما أصبح يعرف بـ "حماية الشيخوخة" من الخرف.
- الخرف متلازمة ناتجة عن خلل وظيفي في نشاط الدماغ مع حدوث اختلال في النشاط العصبي والوظائف المعرفية مثل: الذاكرة والتفكير والتوجه في المكان واللغة والوعي...
- قد يكون الخرف مرفقا بتدهور على مستوى الانفعالات والسلوك الاجتماعي والأنشطة الشخصية في الحياة اليومية (اغترسال، ارتداء الملابس، الأكل...)
- على مستوى الدلائل التشخيصية: وجود تدهور في الذاكرة والتفكير بدرجة قد تضعف أنشطة الفرد اليومية، ومن الشائع أن يكون مرفقا بهذيان، وينبغي التأكد عن طريق التشخيص الفارقي
- التشخيص الفارقي: (أ) اضطراب اكتئابي (ملامح الخرف المبكر، قصور في الذاكرة، بطء في التفكير، انعدام السلوك التلقائي). (ب) الهذيان. (ج) التأخر الذهني

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



□ يندرج مرض ألزهايمر Alzheimer ضمن أنواع الخرف، وهو يصيب 5% من الرجال و6% من النساء

□ أغلب الحالات، يتجاوز سنهم 65 سنة. والملاحظ أن 30% من هؤلاء، من تجاوز سنهم 85 سنة. وتشير الإحصائيات في أمريكا، إلى وجود 4,5 مليون مصاب بالزهايمر.

□ اكتشاف اضطراب ألزهايمر كان سنة 1906 على يد الطبيب الألماني ألويس ألزهايمر Alois Alzheimer (1864-1915).

□ التصنيف الدولي (CIM 10): مرض ألزهايمر (F00) هو خلل وظيفي في أداء الدماغ ونشاطه واختلال في أداء الوظائف العصبية العليا للدماغ وتراجعها، وتشمل الذاكرة والتفكير واللغة ومعرفة الاتجاه والفهم والحساب ومهارات التعلم وإصدار الأحكام

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



- تلف أو الإصابة الانتكاسية للخلايا العصبي neurodegenerative
- يعرف بالتراجع التدريجي. يكون في البداية بطيئاً، ثم ينتقل إلى المراحل الحرجة التي يفقد فيها الشخص العديد من الوظائف المعرفية والذاكرة والوجدانية....
- أعراض ألزهايمر تبدأ بالنسيان والتغيير في السلوك والشخصية، والميول إلى العزلة وتقلبات المزاج. ويصل في النهاية، إلى عدم القدرة على القيام بأبسط المهارات اليومية الاعتيادية (ارتداء الملابس أو الدخول إلى الحمام...)
- بعض الأعراض الخاصة مثل: اضطراب في الكلام أو الثثرة خارج السياق أو التلفظ بجمل متقطعة. وكذلك هلاوس سمعية وبصرية وفقدان القدرة على إدراك الزمان والمكان.....

الشيخوخة المعرفية واضطرابات الشيخوخة



أهم مراحل مرض ألزهايمر:

- المرحلة الخفيفة: فشل في استحضار المعلومات الجديدة، فشل في إيجاد الكلمات المناسبة، صعوبة ضبط التوجه في المكان، صعوبة في ضبط الزمن...
- المرحلة المتوسطة: اضطراب في الذاكرة (قصيرة المدى)، صعوبة في الكلام والفهم، صعوبة في القيام بالأنشطة اليومية، فقدان التوجه في الأماكن المعروفة، نسيان الزمن، سلوك انفعالي وعدواني...
- المرحلة المتقدمة: اضطراب في الذاكرة طويلة المدى (الذاكرة الإيزودية)، اضطراب في اللغة، عدم التعرف على الأقرباء، عدم القدرة على القيام بالسلوك الآلي (مضغ، بلع...)، فقدان تام للاستقلالية في الأنشطة اليومية